

حركة التعريب في المغرب بين الواقع والآفاق في ظل العولمة

الدكتورة/شادية شقروش

أستاذ مساعد مكلف بالدروس

قسم اللغة العربية وآدابها

المركز الجامعي تبسة

توطئة

أصبح من المعلوم بالضرورة أن بريق العولمة الذي أغشى البصائر، ينذر بخطر رهيب إن لم يتدارك سيقضي على مقومات الأمة العربية، ذلك أن مبدأ الهيمنة الذي تسعى العولمة إلى تكريسه موجه للعالم العربي بالدرجة الأولى ثم إلى العالم الآخر بالدرجة الثانية، ولعله من البدهة معرفة السبب الكامن وراء ما تسعى إليه هذه السياسة العالمية من تحطيم الثقافات الوطنية، وإدخالها في عالم من الصراعات و التناقضات التي تجعل كل ثقافة يطحن بعضها بعضا و يأكل بعضها بعضا⁽¹⁾.

فالصراع بين قيادة العالم جعل الآخر يعمل على تكريس مبدأ الشمولية و الإقصاء، الذي عرفته المجتمعات الإنسانية عبر تاريخها و هو صورة من صور العولمة الآن، "فتاريخ العالم ما هو إلا تتابعات لصور صغيرة من العولمة miniglobalization، فقد حاولت كل إمبراطورية من الإمبراطوريات التاريخية أن تضم كيانات، فعلت ذلك الإمبراطورية اليونانية... و فعل ذلك الرومان و المسلمون و حدث ذلك في العصر الحديث...، و على الرغم من وجود هذا الميل القديم نحو العالمية اتخذت (العولمة) في العصر الحديث طابعا مغايرا"⁽²⁾. يسعى إلى الهدم و التفكيك الداخلي للمقومات الثقافية و السياسية لكل أمة من الأمم.

و "البعد التاريخي للغة العربية هو البعد المعول عليه في سياق حياة العرب و تطورهم منذ القدم إلى الزمن الراهن ... و محاولة طمس اللغة العربية هي طمس للتاريخ العربي بما فيه

من قيم و أصول تأتي الهوية في مقدمتها، وقتل العربية هو قتل للإسلام نفسه، بل قتل للعرب و إلغاء وجودهم" (3).

و لا شك في أن ما تقوم به المؤتمرات الإقليمية و العالمية في الوطن العربي حول مسألة الهوية و الحفاظ على اللغة العربية مؤثر هام على أن العربية مازلت متجذرة في النفوس و أن العربي المخلص لم تذب هويته داخل نار العولمة بل زادت في بريقها كالذهب الخالص، فعلى الرغم من الاتساع الإنساني للعالمية، لم يفقد العربي هويته و على الرغم من اتساعها الجغرافي لم يفقد وطنيته⁽⁴⁾، لأن اللغة العربية تحمل مرجعية سماوية محمية بالقرآن العظيم "و محروسة بقوة روحية متمكنة في النفوس، الأمر الذي أدى إلى إخفاق جميع محاولات التقليل من شأنها في الماضي" (4)، و الحاضر. و على هذا الأساس سنتطرق في هذه المحاضرة إلى تشخيص التعريب في العالم العربي و أهمية الترجمة في حوار الثقافات مروراً بالتاريخ و تشخيص الواقع الراهن و محاولة استشراف المستقبل (الآفاق). فجاء عنوان مداخلتنا اللغة العربية و العولمة (التاريخ، الواقع، و الآفاق).

و الإشكال المطروح هو:

- كيف يتسنى لنا ربط الماضي بالحاضر لاستشراف مستقبل التعريب في الوطن العربي؟

- و كيف سيكون التعريب انطلاقاً من واقعنا الراهن خطاباً عالمياً يتفاعل مع الأنساق الحضارية المعاصرة كما تفاعل قديماً؟

- ما هي العوامل التي ترفع من شأن اللغة و تساعد على انتشارها و تداولها؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي تتناسل من بعضها البعض.

لا شك في أن تسليط الضوء على الجانب التاريخي يجعلنا نقبض على العوامل التي أدت إلى عالمية اللغة قديماً:

1- اللغة العربية و التاريخ في ظل العولمة الإسلامية:

تألفت الحضارة الإسلامية و تنامت على أجنحة اللغة العربية (الوعاء الحامل للدين) التي انتشرت انتشاراً واسعاً، الأمر الذي جعلها تنصدر لغات العالم المتميزة آنذاك.

- كيف تم ذلك؟؟ وكيف أصبحت اللغة العربية لغة عالمية بعد ظهور الإسلام بقليل؟

جاءت اللغة العربية حاملة للدين في فترة كانت الحضارة الفارسية في أوجها لغة و ثقافة، و حضارة لا ينكرها إلا جاحد فلماذا لم يحدث للعرب مثلما حدث للمغول؟؟

جاءت الفتوحات الإسلامية على يد عرب لا يملكون نظاما سياسيا مدنيا مثلما تملكه الفرس آنذاك، و يجمع المؤرخون على أن إمبراطوريتا الفرس و الروم كانتا حاملتا حضارة راقية و كانا يمتلكان كل أسباب التفوق، القوة العسكرية، الثقافة و الفن و اللغة المعاملات و الأساليب العلمية و الإدارية.

و عند ظهور الإسلام لم تكن اللغة العربية أغزر من تلك اللغات الحاوية للحضارة، كما كانت فقيرة علميا مقارنة باللغات التي كانت في ذلك الوقت لغات العلم، الفلسفة، الطب، المنطق، الرياضيات، الإدارة و الاتصالات الدولية في العالم القديم، لمدة قرون طويلة قبل الإسلام و عند ظهوره (5).

و لاشك في أن شغف العرب المسلمين بالفتوحات الإسلامية هو الذي جعلهم يتركون الأمور الإدارية و المالية لدى الشعوب التي فتحوها على حالها. و استمر الوضع حتى خلافة عبد الملك بن مروان الأموي، إذ تنبه العرب إلى التناقض الذي كان يسود أوضاع الدولة الإسلامية في الممالك التي انضوت تحت لوائها، و هو بقاء اللغات الأخرى سائدة في المجالات المالية و الإدارية، و انحصار اللغة العربية في المجالات الدينية و الأدبية و ديوان الجند فقط فشكل هذا الأمر خطرا على مستقبل الحكم العربي الإسلامي و خطرا على مستقبل اللغة العربية التي هي الرابطة المتينة الموحدة التي تربط كافة القاطنين في مختلف أرجاء الدولة الإسلامية و الأمر الآخر هو تفشي ظاهرة اللحن في اللسان العربي، الحامل للرسالة فكان الوازع الديني هو الذي نبه حراس اللغة العربية بمعية القرار السياسي الحكيم إلى خطورة الوضع و التوجيه إلى الحفاظ على اللغة العربية لغة القرآن و الدين.

فكان القرار السياسي الصارم الذي قام به عبد الملك بن مروان، و هو تعريب الدواوين الإدارية، و يعتبر هذا القرار أعظم حدث ثقافي سياسي بعد جمع القرآن الكريم الأمر الذي أدى إلى زوال نفوذ بعض الفئات التي كان كيانها مستمدا من التفوق في الثقافة و المدنية

و هذا ما جعل المتكلمين بغير اللسان العربي يسعون إلى تعلم اللغة العربية و إتقانها كي يتمكنوا من معرفة الدين و تقلد مكانة في نطاق الدولة الإسلامية⁽⁶⁾.

و تزامن مع تعريب الدواوين حركة التدوين و التقييد للغة العربية و منذ ذلك الوقت أصبح الاهتمام بالعربية الشغل الشاغل للعلماء و لم تنفصل حركة العلماء عن القرارات السياسية لأن اللغة مرتبطة بالدين، و الدين مرتبط بالحكم السياسي.

أدى هذا التلاحم الكوكبي إلى "جعل اللغة العربية لغة أدب و علم و دين و إدارة، أي لغة قادرة على التعبير على خلجات النفس من ناحية و مبتكرات العقل والفكر من ناحية أخرى.

و من بين الأمور التي أدت إلى عالمية اللغة العربية أيضا: حركة الترجمة من مختلف اللغات التي كانت سائدة آنذاك (اليونانية، الفارسية، الرومانية) حيث ترجمت علوم المنطق، الطب، الطبيعيات، الفلك⁽⁷⁾.

و بلغت حركة الترجمة إلى اللغة العربية ذروتها في عهد المأمون حيث أصبح بيت الحكمة الذي أنشأه هارون الرشيد في بغداد مركزا استقطب علماء كثيرين، و استمر بيت الحكمة في تغذية اللغة العربية بمختلف العلوم حتى مجيء التتار (656هـ) و عملية الهدم التي قام بها.

تعاقبت عصور الابتكار في العصر الذهبي الإسلامي إذ تأسست حركة كبيرة للعلم و المعرفة مطبوعة بطابع عربي كان الأساس الذي نهلت منه أوروبا في القرون الوسطى، و قرنت عالمية الرسالة آنذاك بعالمية اللغة، و يصف الباحث غوستاف لوبون⁽⁸⁾ في كتابه حضارة العرب كيف أصبحت اللغة العربية لغة عالمية في الفترة الممتدة من منتصف القرن السابع إلى نهاية القرن الحادي عشر ميلادي و كيف هيمنت على جميع اللهجات و اللغات المتوفرة في تلك الفترة، حيث أصبح الشباب الأوربي يتنافس في إتقان اللغة العربية. الأمر الذي جعل الكثير من علماء الدين المسيحي يتأسفون على هذا الوضع، الذي أدى إلى نسيان الشباب المسيحي لغته الأم و العكوف على مدارس العربية التي تألفت و كانت هي لغة التعليم و البحث العلمي و لغة التواصل و الاتصالات الدولية بين الأمم و الشعوب.

هذا هو الأمر القيادي الذي اضطلعت به اللغة العربية أيام كنا نقود الأمم.

و الأمر الذي يجب التنبيه إليه هو أن اللغة العربية بقيت صامدة حتى في وجه "المغول التتار الذين اجتاحتوا العالم الإسلامي خلال القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي و تمكنوا خلال أعوام معدودة من السيطرة على العالم الإسلامي و احتلوا بغداد و اسقطوا الخلافة الإسلامية.

و لكنهم لم يستطيعوا فرض لغتهم لأنها لم تكن تحمل ثقافة الشعوب المغلوبة، وتعلم هؤلاء الغزاة اللغة العربية و اعتنقوا الإسلام. و نشروا الثقافة الإسلامية في البلاد التي غزوها بعد ذلك" (9).

من هذا المنطلق نستنتج أن المغول كان هدفهم ماديا بحتا و هو الاستيلاء على الحكم. و لم يكن لهم هدف منظم في القضاء على اللغة العربية أو خطة محكمة لهدم الدين لذلك لم يكن في وسعهم إلا الذوبان في هذا المجتمع الذي تغلبوا عليه عسكريا. نستخلص من ذلك أن القوة العسكرية وحدها لا تكفي للقضاء على المقوم اللغوي و الديني.

و لعل ما آلت إليه العربية الآن تكاثفت عليه أسباب عديدة من بينها المعركة الفاصلة بين المسيحية و الإسلام.

و إذا كانت السياسات الاستعمارية قد استطاعت أن تفرض لغاتها (القومية أو لهجاتها). على الشعوب التي استعمرتها في آسيا و إفريقيا خلال (ق19، ق20 م) فإن السبب لا يكمن في أن ثقافتهم كانت أرقى ثقافة من الشعوب المغلوبة (***) . و لكن السبب الوحيد هو التخطيط لعملية الهدم و البناء. هدم اللغة و طمس الدين و التخطيط لنشر لغتهم و دينهم، فكان الهدف الأسمى للغرب هو القضاء على سياسة الهيمنة الإسلامية بالقضاء على مقوماتها الأساسية (الدين و اللغة) حتى لا تنهض و تبرز الحضارة الإسلامية من جديد.

فأهداف المستعمر كانت تحمل خطة استشراقية، فبنيت العقلية الغربية على مبدأ القوة و الهيمنة مع مراجعة دامت ردحا من الزمن و وفق سياسة محكمة و خطة معتبرة انتشر التبشير في أوساط بعض الأقطار العربية و دول المغرب العربي بحكم أنها كانت تحت الوصاية الرومانية قديما قبل مجيء الإسلام، فانطلقت عملية الهدم بضرب القوة الروحية و هي الدين، لأن هذه السياسات واعية تماما أن الدين هو البؤرة التي أدت إلى عالمية اللغة.

ثم تأتي الهيمنة العسكرية على الكثير من الأقطار المسلمة الجانب الإنكليزي في المشرق و الجانب الفرنسي في المغرب. ثم تبدأ مغامرة هدم المقومات و بناء مقاومات جديدة، و بخاصة و أن العالم الإسلامي في تلك الحقبة كان يعيش فترة التخدير و الانحطاط. من جراء الانشقاق و البحث عن المصالح الذاتية و الخلافات الدينية الجزئية و القضايا الفرعية و ترك الأصول و التخلي عن الفكرة الأساسية التي يعيش من أجلها، و كتب التاريخ أسهبت في هذه الجوانب. المهم في كل ذلك أن انسحاب المستعمر من هذه الأوطان خلف شعوبا تعاني من الفوضى و الازدواج اللغوي و انتشار اللغة البربرية التي سعى المستعمر إلى إحيائها من جديد في دول المغرب العربي.

و لولا الحركات التنويرية التي قام بها العلماء المسلمون لتنبه الشعب الراكد من خطورة اضمحلال اللغة العربية لغة القرآن و الدين. لما بقى لهذه الشعوب لغة ولا دين. فمقاومة العلماء على الرغم من المثبطات أتت أكلها، و خير مثال على ذلك عندما أرادت فرنسا أن تجعل من الجزائر مقاطعة فرنسية هو قول ابن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين:

شعب الجزائر مسلم *** وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله أو *** قال مات فقد كذب

و هو القول الذي عمل على تجسيده من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية موازاة بما قام به علماء و حراس العربية في الأقطار العربية و الإسلامية الأخرى.

فبعد خروج الاستعمار وقعت العربية في مشكلة كبيرة و تنبه الساسة و العلماء إلى واقع التعريب آنذاك. فلغة التخاطب اليومي خليط من اللغة العامية و لغة المستعمر أما الإدارة و التعليم فكان بلغة المستعمر.

و لم يبق للغة العربية مجال إلا فيما انحصر في المساجد و الكتاتيب أي أصبحت اللغة العربية تمارس في العبادات فقط. تنبه الساسة إلى خطورة الوضع و كيفية معالجة هذه الظاهرة العويصة و تكاثفت جهود أبناء الأمة في حل معضلة التعريب و تضاربت الآراء بين مدافع عن لغة الأصالة و الدين وبين رافض للغة العربية بالتخلف و الجمود.

2- واقع التعريب:

سال حبر كثير حول موضوع التعريب في الوطن العربي والمغرب العربي بخاصة، نجد ذلك على صفحات الجرائد و المجلات العربية و الموائيق العربية و الموائيق الوطنية مما لا يسمح المجال إلى ذكرها لكثرتها.

و سأحاول بعجالة تشخيص واقع التعريب في المغرب العربي بحكم أن هذه الأقطار تعاقبت عليها لغات عديدة وطغت عليها اللغة البربرية التي ضرب الاستعمار على وترها من أجل إحيائها.

ورثت أقطار المغرب العربي بعد رحيل الاستعمار، وضعا ثقافيا مترديا، الأمية المنتشرة في كل المدن و القرى، و التعليم المجزأ بين المدارس القرآنية و المدارس الفرنسية التي يشرف على أغلبها رجال الدين⁽¹⁰⁾ (المبشرون). لكن مسيرة التعريب بدأت عقب خروج الاستعمار مباشرة بالقرار السياسي سنة 1958 في تونس أي بعد الاستقلال سنتين إذ تبلورت فكرة تعريب التعليم في أذهان القادة آنذاك.

فالسياسة المرحلية التي أنتهجها الرئيس السابق بورقيبة رحمه الله تقرر أن التعليم سيكون متجها إلى التعريب و استعمال اللغة العربية، و يبقى استعمال الفرنسية وقي ريثما تعد المدارس التكوينية الإطارات الضرورية للتعليم بالعربية⁽¹¹⁾، لكن هذه السياسة المرحلية أدت إلى فشل التعريب لأن الإدارة لم تعرب، أضف إلى ذلك الإرادة للجماهيرية التي تنظر إلى اللغة الأخرى على أنها الأفضل و هذا ما أدى إلى التراجع عن عملية التعريب و حدثت خلخلة في المدرسة التونسية، و أحتد النقاش سنة 1970، 1971 في أوساط المثقفين بين داع للتعريب و متمسك باللغة الفرنسية أداة لتبليغ المعارف، و كانت حجة دعاة الفرنسية النجاعة و ضرورة دراسة العلوم بلغة العلم، و أن العربية عاجزة عن أن تكون لغة عصرية صالحة للعلوم و التقنية فهي لغة الشعاعية و العواطف (...)، و قد وقع الكثير من المواطنين آنذاك تحت تأثير أنه لا مجال للاستغناء عن الفرنسية، و لعل المحفز الرئيسي لفشل التعريب في تونس وقتها هو تمكن مناهضي التعريب من احتلال المراكز القيادية في الإدارة و

تسيير شؤون البلاد واستطاعوا بحكم قدرتهم محاصرة أنصار التعريب و اهتموهم بالرجعية و الدعوة إلى السلفية و تكبيل المجتمع في التخلف⁽¹²⁾، لكن بعد تكتيف مؤتمرات التعريب التي

أقيمت في المغرب و الجزائر و بعد رؤية التجربة الجزائرية السائرة في طريق النجاح، شرعت تونس في برنامج التعريب من جديد سنة 1976 و لكن بقيت النغمة التونسية نفسها على لسان القادة بأن التسرع في التعريب يؤدي إلى استعمال كوادر ليس لها الكفاءة لتعليم اللغة العربية، بالرغم من أن القرار المغربي في ما يخص التعريب لا رجعة فيه هذا ما صرح به وزير التربية التونسي سنة 1975⁽¹³⁾، و بالرغم من البرنامج البطيء الذي انتهجته تونس في مجال التعريب إلا أن التعريب شمل كامل القطر التونسي و مع تغير السياسة التونسية و استطاع الشعب التونسي أن يتخطى مرحلة لا بأس بها، و بخاصة في مجال التشجيع على الإبداع و طبع مؤلفات الناشئين و المبدعين و كذلك إنشاء بيت الحكمة الذي يترجم فيه آلاف الإبداعات التونسية إلى لغات أخرى قصد تمكين الآخر من الإطلاع على الثقافة العربية.

أما بالنسبة للمغرب الأقصى فإن هاجس التعريب كان يراوده و هو بين أحضان الاستعمار، حيث بدأ مشروع التعريب سنة 1950 بفتح مدرسة في الرباط أهلت طلابها لاجتياز امتحان البكالوريا سنة 1955، رغم أن سلطة الاحتلال لم تعترف بالشهادة المعربة، و على الرغم من المشروع التعريبي المبكر إلا أن التعليم الجزأ- الذي خلفه الاستعمار و ذلك بإتباعه نظما تعليمية تختلف من فئة اجتماعية إلى أخرى و من منطقة إلى أخرى غرضه تمزيق الوحدة الثقافية للشعب المغربي - فرض على الدولة الملكية أن تضع في الاعتبار مسألة توحيد التعليم الجزأ بين تقليدي قرآني، و حر عصري، و التعليم الفرنسي المخصص للجنسية و أبناء الأعيان ثم الشروع في عملية التعريب⁽¹⁴⁾.

و لاشك في أن معضلة التعريب و الخوف على اللغة العربية من طرف أبناء الأمة المخلصين هو الذي أدى لانعقاد أول مؤتمر للتعريب في مدينة الرباط من 3 إلى 7 ابريل سنة 1961 الذي تقرر فيه تكوين مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي، الذي ألحق بجامعة الدول العربية سنة 1969/3/16 بقرار من مجلس الجامعة، و ألحق بالمنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم بتاريخ 1972/5/8 بقرار صادر عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية⁽¹⁵⁾.

و منذ 1962 تقرر تعريب التعليم بقرار صادر عن المجلس الأعلى للتربية الوطنية. ثم تلت بعد ذلك الندوات و تكاثفت من أجل معالجة قضية التعريب و على الرغم من ذلك نجد

أن نسبة الأجانب العاملين في سلك التعلم المغربي يفوق المغاربة و بقيت مسألة تعريب التعليم بين مد و جزر، فالتعددية اللغوية مازلت قائمة و هي واقع ملموس⁽¹⁶⁾. فالتطبيق في المغرب كان صعبا مثل ما وقع في تونس. إلا أن أبناء المغرب المخلصين لم تنبئهم العقبات.

أما واقع التعريب في الجزائر فكان مختلفا تماما، جمعت الجزائريين مشاكل التعريب الموجودة في المغرب من ازدواجية لغوية متمثلة في اللهجات و الفرنسية. و مشاكل التعريب الموجودة في تونس المتمثلة في المناصر و المعارض إلا أن الأمر كان مختلفا تماما.

لا شك في أن الاستعمار كان مركزا تركيزا قويا للقضاء على مقومات الشعب الجزائري ولكن إصرار الشعب على الانعتاق والتحرر كان أكبر من أي تصور لذلك جاء العمل بعد الاستقلال جادا وبخاصة في ما يتعلق باستعادة الهوية الوطنية المتمثلة في الإسلام والعروبة (الدين واللغة العربية) الأمر الذي جعل القرار السياسي صارما في تعريب التعليم والإدارة والمحيط فتوفر الإرادة السياسية لدى القيادة الجزائرية رغم استمرار عوامل المقاومة غير المعلنة من أولئك الذين يحبذون اللغة الفرنسية خصوصا داخل الإدارة - في تعريب الجزائر لسانا وثقافة، وهو الذي دفع بعملية التعريب خطوات عملاقة، إذا اعتبرنا الانطلاق كان سنة 1962 من الصفر على عكس المغرب وتونس، وعلى الرغم من الحالة المزرية التي كان عليها الشعب فكرا ولسانا (لهجة بربرية، لغة عامية ممزوجة بالفرنسية خاضعة للاشتقاق العربي...) إلا أن الإرادة الجماهيرية بمعية المدرسة الوطنية للمترجمين عممت التعريب بالتدرج فكانت سنة 1971 هي سنة التعريب الكلي التي ابتدأ فيها تنفيذ التعريب في الشعب العلمية وصدور مرسوم يلزم كل محاز في الجامعة بمعرفة اللغة العربية في كل الكتابات⁽¹⁷⁾ وتقرر سنة 1976 منع المدارس الخاصة كي لا تقف عائقا أمام عملية التعريب ونص الميثاق الوطني " إن الخيار بين اللغة الوطنية ولغة الأجنبية أمر غير وارد البتة ولا رجعة في ذلك ولا يمكن أن يجري النقاش حول التعريب بعد الآن إلا في ما يتعلق بالاحتوى والوسائل والمناهج والمراحل..."⁽¹⁸⁾

وردت الندوة الوطنية سنة 1975 على من يتهمون العربية بالعجز من أجل الحفاظ على اللسان الفرنسي، ولعل الدور المهم الذي قام ويقوم به مكتب تنسيق التعريب أدى ثماره لأنه

يقوم بالمساهمة الفعالة في الجهود التي تبذل في الوطن العربي للعناية بقضايا اللغة العربية ومواكبتها للعصر واستجابتها لمطالبه وذلك عن طريق:

- أ- تنسيق الجهود التي تبذل للتوسع في استعمال اللغة العربية في التدريس بجميع مراحل التعليم وأنواعه ومواده، وفي الأجهزة الثقافية ووسائل الإعلام المختلفة.
- ب- تتبع طريقة التعريب وتطور اللغة العربية العلمية والحضارية في الوطن العربي وخارجه بجميع الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع ونشرها أو التعريف بها.
- ج- تنسيق الجهود التي تبذل لا غناء اللغة العربية بالمصطلحات الحديثة وتوحيد المصطلح الحضاري في الوطن العربي بكل الوسائل الممكنة.
- د- الإعداد للمؤتمرات الدورية للتعريب⁽¹⁹⁾.

ولا شك في أن تتبع القرارات سواء ما قيل في المؤتمرات أو الجامع اللغوية أو ما يقوم به مكتب التنسيق أدى ثماره في الجزائر وفي معظم الدول العربية وما التجربة السورية في التعريب الشامل إلا دليلا واضحا على ذلك. ويقف المجلس الأعلى للغة في الجزائر حصنا منيعا لكل من تسول له نفسه المساس باللغة العربية أو بالتعريب. وعلى الرغم من الجهود التي بذلت من أجل الحفاظ على اللغة العربية قرابة 40 سنة إلا أنه ظهرت سنة 2003 نغمة جديدة هدفها المنظومة التربوية إذ برمجت الفرنسية ابتداء من السنة الثانية ابتدائي وأصبحت مادة الرياضيات (الحساب) في السنة الأولى متوسط تكتب من اليسار إلى اليمين باستخدام الرموز الفرنسية بدل س، X وبدل ع، Y وهذا الواقع الملموس الذي يعاني منه أطفالنا اليوم ما هو إلا عود على بدء. وعملية التراجع هذه هدفها ضرب اللغة العربية في الصميم، ودعاة فرانكفونية هم الذين أعادوا برمجة المنظومة التربوية التي هي العصب الرئيسي في خلق الأجيال ولسنا ندرى ما مصير اللغة العربية إذا استمر الوضع على هذا المنوال في الجزائر، وعلى الرغم من التنديدات إلا أن قرار المرسوم الوزاري لا رجعة فيه. فواقع التعريب في الجزائر أصبح في خطر إن لم يتدارك وهذا النداء أوجهه إلى حماة اللغة العربية⁽²⁰⁾.

حاولنا في هذه الدراسة إلقاء الضوء على مسار اللغة العربية منذ أن أصبحت حاملة للرسالة السماوية وكيف أصبحت لغة عالمية في ظرف وجيز.

نظرا للقرارات السياسية المحكمة أضف إلى ذلك إرادة العلماء في الحفاظ على هذا الكثر الثمين الذي هو الوعاء الحامل للدين، ثم عرجنا على معرفة خارطة التعريب في منطقة المغرب العربي، وبيننا كيف أن " التعريب قضية كبيرة ومعقدة وذات أبعاد متعددة، والعقبات التي تقع في طريق تحقيق هذا النوع من القضايا تكون عادة كثيرة ومتشعبة تشعب القضية نفسها، ومن ثم فإنه يستحيل التغلب عليها بين عشية وضحاها، ومع ذلك فإن المشاكل التي تواجهها عملية التعريب لا يستعصى حلها على أمة عظيمة مثل الأمة العربية وإرادة علمائها النابغين " (21).

3- الآفاق

- نستخلص من كل ما سبق أن اللغة العربية بإمكانها أن تكون لغة عالمية مرة أخرى إذا:
- 1- وجدت الإرادة المعززة بالقناعة لدى كل الأوساط العربية الفاعلة من أجل خوض عملية التعريب وقد أثبتت التجربة أن كل الأساتذة العرب الذين تلقوا تعليمهم بلغات أجنبية قادرون على إلقاء محاضراتهم بالعربية (22).
 - 2- القرار السياسي المحكم دون فتح الاستثناء (لأن الاستثناء قد يكون قاعدة).
 - 3- التكثيف من المؤتمرات الدولية والندوات الوطنية حول أهمية اللغة العربية وفتح مجالات للترجمة.
 - 4- يجب أن يتوفر الحافز المادي للمترجم.
 - 5- ينبغي أن يتقن المترجم اللغة العربية (اللغة الأم) كي لا تكون الترجمة مشوهة.
 - 6- أن يتعلم من أراد أن يخوض غمار الترجمة اللغة الثانية من مضامها لأن كل لغة تحمل شحنات اجتماعية و نفسية ... الخ.
 - 7- الاقتناع الكلي أن اللغة العربية لغة عالمية و عدم قذفها بالعجز لأن أي لغة بإمكانها أن تكون عالمية بالثابرة و تكاثف الجهود.

- 8- ترجمة الإبداع العربي إلى اللغات الأخرى كي يتسنى للأخر معرفة الأنا.
- 9- ضرورة تقديم كل البرامج التلفزيونية بما في ذلك الإشهار باللغة العربية الفصحى.

- 10- فتح شبكة في فضاء الانترنت تدعو إلى التعريب.
- 11- يجب علينا أن نفهم و نتقن لغتنا ثم نتقن غيرها من اللغات كي نتواصل مع الآخر.
- 12- و ينبغي أن تكون الدعوة إلى التعريب عالمية بالتفاعل مع كل الأنساق الحضارية و إظهار الندية (****).
- فاللغة العربية قادرة على التفاعل الذاتي و التطور و التجدد و التعبير عن حاجات العصر و يجب أن لا ننكر المجهودات القائمة في مجال الترجمة أو التعريب و مجهودات حراس اللغة العربية تنبئ بالخير الكثير شريطة أن لا يكون هناك إحباط، و لا شك في أن الخوف يؤدي إلى النجاة و عدم الاكتراث يؤدي إلى الهلاك، فالخوف على اللغة العربية هو الحرص على نجاحها من الأخطبوط (العولمة).

الإحالات (التهميش)

- (1)- د. أحمد زايد: عولمة الحداثة و تفكيك الثقافات الوطنية، عالم الفكر، مج 32 المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت 2003 ص 27.
- (2)- أحمد زايد: عولمة الحداثة م.س ص 8.
- (3)- د. أحمد راشد- الأردن (: مؤتمر اللغة العربية أمام تحديات العولمة، مجلة الشاهد ع. 202، يونيو لبنان، 2002 ص 85.
- (**) - هو جواي على من قال: "هل يتلاشى العربي في العالمية باتساعها الإنساني فيفقد إنسانيته و باتساعها الجغرافي فيفقد وطنيته" أبو القاسم حاج حمد: العولمة الاسلامية الثانية.
- (4)- د. عبد الرؤوف فضل الله: (اللغة العربية وعاء الوجدان القومي و الركيزة التوحيدية للثقافة العربية) (نصوص أعمال ندوة اللغة العربية بين اللغات العالمية (الجزائر 6-8 نوفمبر 2000)، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر 2001 ص 165.
- (5)- هذا السؤال هو عنوان محاضرة ألقاها د. تركي رابح عمامرة من جامعة الجزائر. و نشر هذا المقال في مجلة اللغة العربية، العدد 4، إصدارات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر. 2001 ص 131، ص 163.
- (6)- أ. د. تركي رابح عمامرة : المرجع نفسه ص 134.
- (7)- انظر : أحمد أمين : ضحى الإسلام وأحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي و الجهمشاري: (الوزراء و الكتاب) تحقيق مصطفى السقا و آخرين ط القاهرة 1938 ص 39 إن كتب التاريخ العربي ثرية بهذه المعلومات التي لا ينكرها جاهل.

- (8)- شوقي ضيق: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول ط2، دار المعارف القاهرة 1966 ص109 و انظر أيضا : أحمد أمين ضحي الإسلام ج1، ط2 النهضة المصرية القاهرة 1961 ص 61 و ما بعدها.
- (9)- نقلا عن د. تركي رابح عمارة، م.س ص 143 بتصرف.
- (10) د.علي القاسمي : شروط عالمية اللغة و كيفية توفيرها للغتنا العربية، ندوة مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية : مرجع سابق ص200 .
- (***)- يرجع د. علي القاسمي أن تفوق لغة المستعمر كان من أسبابه أن ثقافتهم كانت أرقى و أنا لا أشاطره الرأي.
- (11) حمد العزوزي : الأبعاد الاجتماعية و السياسية للتعريب في المغرب العربي. مجلة شؤون عربية العدد 7 جامعة الدول العربية 1981.
- (12) جريدة صوت العروبة اللبنانية 1963/10/1.
- (****)- شؤون عربية، عالم الفكر، الفكر العربي، مجلة الشاهد، مجلة الوحدة... الخ كل هذه المجالات تطرقت إلى واقع التعريب و تشخيصه في الوطن العربي و اقتبست منهم بعض المعلومات للأمانة العلمية.
- (13)- أحمد العزوزي : شؤون عربية مرجع سابق بتصرف ص 144.
- (14)- جريدة الثورة السورية 1975/03/27 نقلا على المرجع السابق ص144.
- (15)- مجلة شؤون عربية : مرجع سابق بتصرف ص135، ص136.
- (16)- د.اسلمو ولد سيدي أحمد (مدير مكتب تنسيق التعريب): مكتب تنسيق التعريب في خدمة اللغة العربية و اغنائها بالمصطلحات العلمية الموحدة الندوة الدولية حول مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية، منشورات المجلس الأعلى للغة الجزائر 2001 ص 285.

- (17)- مجلة شؤون عربية : مرجع سابق بتصرف ص 136 .
- (18)- قرار الندوة الوطنية حول التعريب الجزائر ماي 1975 .
- (19)- جريدة المـــــــجاهد 22 ماي 1975 .
- (20)- اسلمو ولد سيدي أحمد : دور مكتب تنسيق التعريب مرجع سابق ص 286.
- (21)- المرجع نفسه بتصرف ص 305 .
- (*****)- منهم من يقول الآن سيكون من السخف المنادة فقط بجزائر عربية أو جزائر بربرية أو جزائر فرنسية، إننا بلد ثلاثي اللغات و هو وضع حقيقي على الرغم من كونه استثنائي لذا يجب علينا أن نطور الثقافات الثلاث معا (هذا القول لكاتب ياسين) و أنا لا أشاطره الرأي لأننا سنعود إلى فكرة الإدماج الفرنسية و إذا كان مثقف من المثقفين مثل كاتب ياسين يقول هذا فإنه لا لوم على الآخرين ؟؟؟.
- ظهرت في الآونة الأخيرة موجة تقدم البرامج الترفيهية باللغة العامية المزدوجة على شاشات التلفزيون و القصد منها تقريب الفهم و هذا الطريق سيقضي على اللغة العربية.
- (22)- استعنت في استخلاص هذه النقاط من جملة ما قيل حول التعريب في مجالات عديدة سبق ذكرها (للأمانة العلمية).